الأمـــل...

« إذا كانت الحياة وردة ،
فالأمل كأسها »

للأستاذ ابن عبد الملك

أجل يا صديق مُسَيِّه : الله فى السماء والأمل فى الأرض! وبين رَوْح الله المؤاسى ، ومَدد الرجاء الآسى ، تندمل الجفون القريحة، وتلتئم القلوب الجريحة، وتنتعش الجدود العاثرة

الكروان يموت فرخه فى المساء وفى الصباح يرقص ويصدح ، والشاة يُذبح حَمَلها فى الحظيرة وفى المروج تثغو وتمرح ، والقلب يُقطع من القلب ، والروح تُنزع من الروح ، ثم يعيش المحب بعد حبيبه ، والوالد بعد ولده ، كما يعيش النهر الناضب فى ارتقاب الفيضان ، والروض الذابل فى انتظار الربيع !

لله على الناس نعمتان لا يطيب بدونهما العيش ولا يُبلَغ إلا عليهما العمرُ : النسيان والأمل .

ماذا كان يصنع الأسى بالقلوب الوالهة إذا لم يمح النسيان من الذهن صورة الحبيب الراحل أو الهاجر؟ تأمل حالك يوم فجعك الموت فى عزيز عليك ، أما كنت تجد لهيب الحزن متصلاً يوقد صدرك من غير خُبُوّ ، ويذيب حشاك من غير هدنة ؟

تصور دوام هـذه النار على نياط القلب وأعصاب الجسد ، ثم قدر فى نفسك الحياة على هذه الصورة . على أنها والحمد لله لا تدوم ؛ فإن الجبار الذى سلط الألم على الروح ، هو الرءوف الذى سلط الزمن على الألم . فالزمن لا ينفك يسحب الأيام والليالى على الصور والآثار حتى تنطمس المشابه، وتعفو الرسوم، ولا يبقى من المفقود إلا صورة لا تنطق ، ولا من الجرح إلا ندبة لا تحس

وماذا كان يفعل اليأس بالنفوس المكروبة إذا لم يفتح الأمل أمامها فرجة فى الأفق المطبق وفسحة من الغد المجهول ؟

يا ويلتا للفقير يعتقد أن فقره يدوم بدوام الحياة ، وللمريض يرى أن مرضه ينتهى بانتهاء الأجل ! ويا بؤسَ للحياة إذا لم يقل المأزوم والمحروم والعاجز : إذا كان فى اليوم قنوط ففى الغد رجاء ، وإذا لم تكن لى الأرض فستكون لى السماء !

ابن عبد الملك